

كلمة موجزة حول الجمال

<"xml encoding="UTF-8?">



الجمال كون الشيء على صفة معجبة ملّدة. وإذا كان المتبادر من لفظه في لغة هو الجمال المبصر فحقيقة معناه تعمّ غيره من المحسوسات والمتخيّلات، بل تشمل المعاني ايضاً. فان الذي يدرك الشاعر من لطيف المعاني في الاشعار المشتملة على الاستعارات والكنيات ليس الاّ الجمال؛ وان الذي يعجب الحكيم من تناسق الكون وحسن انتظامه، بل يراه صفة ذاتية للوجود، ليس الاّ الجمال؛ وان الذي يروع العارف عند شهوده لملكوت السماوات والارض ليس الاّ الجمال.

فالجمال صوريّ ومعنويّ، والمدرّك للجمال المعنوي هو الوهم في المعاني الجزئية، والعقل في ما فوقها. ونستنتج من وجدان الجمال في اكثر من مقولة، كونه من سنخ الوجود دون المهية. وهذا كالعلم والوحدة. والنفس في كل مرتبة تنجذب الى الجمال الموجود في تلك المرتبة من الوجود. وليس بحيث اذا تجرّدت عن المادّة ولوازمها حرّمت من الجمال والالتذاذ به، بل تزداد اعجاباً والتذاذاً بالجمال العقليّ، ونعني به ما يوجد في ما وراء الحسيّات والمعاني الجزئية.

اذا كان المتعارف من الجمال هو الذي يُدرّك من تناسب اجزاء الشيء المركّب فلا تختصّ حقيقته بالمركبات، بل تشمل البسائط ايضاً.

أترى ان انجذاب الطفل الى الوردة الحمراء وشعلة الشمعة يكون لشيء غير جمالهما؟ أليس ذلك الاّ لما يعجبه من اللون الاحمر؟ وهل تحتمل ان جمال الحمرة في نظره انما هو بلحاظ الاجزاء وتناسبها؟ وان الحمرة عرض بسيط.

بل نقول في جمال المركّبات المتناسبة الاجزاء: إنّ الجمال يكون صفة للهئية الحاصلة من الاجزاء المتناسبة، ونفس الهئية امر بسيط.

وقد تتعدّد جهات الجمال من حيث الاجزاء بانفسها ومن حيث الهئية التركيبية.

ان النفس لا تتمكن من ادراك الجمال الموجود في المرتبة العالية ما دامت منغمرة في المرتبة السافلة. فادراكها للجمال العالي دليل على وصولها الى تلك المرتبة، وهكذا في الجمال الأعلى.

ألا ترى ان النفوس المنهمكة في الشهوات البهيمية قلّما تلتذّون من المعاني اللطيفة؟ وبالعكس من ذلك فان النفوس اللطيفة الشاعرة بالجمال المعنوي لا يهتمّون كثيراً باللذّات البهيمية.

قد عرفنا ان الجمال في الحقيقة صفة للوجود، لكن لا ينافي ذلك اتصاف المهّيّات به. وان المهيات هي الاعرف

عند الانسان من الوجود، بل لا يعرف من حقيقة الوجود شيئاً الا بقدر معرفته بنفسه. وهي في الغالب ليس الا شعاعٌ ضعيفٌ يكاد ينطفئ. ولذلك ما يقع من اشتباه النفس بالبدن لأكثر الناس.

فالذي يعرفه كل انسان من الجمال انما هو معنى يحصّله من مقايضة بعض الاشياء ببعض، فما يعجبه منها يعدّه جميلاً. ونفي الجمال عما يتنقّر منه انما هو بحسب ادراكه وبالنسبة الى نفسه، ولا ينافي ذلك كونه جميلاً عند موجود آخر، كما انه لا ينافي كونه جميلاً بحسب وجوده مع صرف النظر عن مقايسته الى موجود آخر. والوجود مطلوب لكل موجود، ومن ذلك ان كل انسان بل كل موجود شاعر فانه يحبّ نفسه، ويحبّ مقوّمات وجوده ومكمّلاته. ولو حصل له مشاهدة ذاته لرآها تفيض بالجمال، وهذا بحسب وجوده مع صرف النظر عن مقايسته الى وجود آخر، وهكذا الحال في شهود كل وجود.

فاذا افاض الله على عبد بمعرفة شهودية وعلم حضوري بمراتب الوجود العالية لأدهشه جمالها ولقضى عجباً وخراً صعقاً. فعرف ان الوجود في ذاته جميل، وعرف مغزى قوله تعالى ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ...﴾ 1. فالوجود بوصف انه مطلوب لكل موجود وأن كل موجود يحبه ويلتذ به فهو جميل كما انه خير. وكلما كان مرتبة الوجود أشدّ كان أجمل، والعالم بمجموعه جميل، وانما القبح والشر يأتي من المقايضة والنسبة. انجذاب النفس الى الجميل انما هو لمصلحة لها فيه وانتفاعها به فغايتها استيفاء ما في الجميل من المصلحة والمنفعة. فانظر الى ما في الاشياء الجميلة من المنافع العظيمة للانسان، ولولا جمال منظرها لما انعطف قلبه اليها وما استفاد منها. فجمال المناظر الطبيعية هو الذي يجرّ الانسان الى معالجاتها والتفكّر فيها، وجمال الطفل هو الذي يأخذ بقلب الأم ويبعثها الى تربيته. وهكذا لا يخفى الدور الذي يوفيه الجمال في الزواج و سائر شؤون الحياة الاجتماعية.

قال تعالى: ﴿إِنَّا زَيْنَّا الدُّنْيَا بَزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾ 2. وقال: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ 3 وقال: ﴿... خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ...﴾ 4. وقال عز اسمه: ﴿... وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ 5. ومن المعروف حبّ النبي (صلى الله عليه و آله) للطيب والزينة⁶، وروي انه كان اذا أبرد بربداً اختار حسن الوجه⁷. وقد ثبت ان من مرجّحات امام الجماعة صباحة الوجه. وروي «أَطْلُبُوا الْخَيْرَاتِ عِنْدَ حِسَانِ الْوُجُوهِ»⁸ كما روي أنه «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ»⁹. و روي «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ»¹⁰.

فللإنسان الالتذاذ بالجمال في مختلف مراتبه ومظاهره والانتفاع بمنافعه في شتى شؤون الحياة مادام لا يعارض مصلحة اقوى، ولا يمنعه من الترقى الى مرتبة أعلى. وقد تكفّلت الشريعة الغراء ببيان موارده ورسم حدوده. والانجذاب الى الجمال قد يعين على التخلص من المرتبة النازلة الى الراقية، وذلك مثل الانجذاب الى لطائف الصور والمعاني لمن لم يتخلّص بعد من مرتبة البهيمية، وهكذا في كل جمال يكون اعلى شأنًا بالنسبة الى الحال الفعلي للانسان. ومن البديهي ان ذلك يختلف بحسب اختلاف الاشخاص والاحوال، فالانجذاب الى جمال خاص يكون معيناً على الترقى لانسان وهو في نفس الوقت يكون موجباً لتنزّل انسان آخر.

وهناك نحو انجذاب آخر للنفس الى الجميل، يستغرق لبه ويُنسيه كل شيء سواه، ولا يصلح استيفاء المنافع غايةً لهذا الانجذاب التام، بل يبطل عنده ما يترتب على المراتب النازلة من المصالح المشار اليها. ولذا اعتبره كثير من اهل النظر زيغاً وانحرافاً عن مجرى الفطرة، ومرضاً وجنوناً.

والذي نراه ان في فطرة الانسان مبنى لهذا الحب، والزيغ والانحراف ان كان فانما هو في تعيين المتعلّق لا من حيث اصل المتعلّق.

ولتبين هذا نقول: ان من الشعورات الفطرية في الانسان الشعور بالخضوع تجاه الكمال الذي لا يطمع في الحاقه

بنفسه وقيامه به بعينه. وحينئذ يحب هذا الكامل ويتلذذ باظهار الخضوع له، وغاية مطلوبه منه ان يتحد به ويندك فيه. ومن مظاهره حب التقرب اليه والالتصاق به. و ألد الأشياء عند هذا المحب ان يرى وجوده فانياً في محبوبه قائماً به، و من مظاهره اتباع ارادته له و التشبه به في صفاته وشؤونه. وهذه المرتبة من الحب ائماً تطلب ممن يمكن قيام ذات الانسان به وتعلق روحه وشرار وجوده عليه، وهو ليس الا من هو في سلسلة علله المفيضة للوجود عليه. وحيث ان وجود كل شيء وجماله مستفيض من غيره سوى الحق تعالى فان المطلوب أولاً وبالذات هو هو¹¹.

-
1. القرآن الكريم: سورة السجدة (32)، الآية: 7، الصفحة: 415.
 2. القرآن الكريم: سورة الصافات (37)، الآية: 6، الصفحة: 446.
 3. القرآن الكريم: سورة النحل (16)، الآية: 6، الصفحة: 267.
 4. القرآن الكريم: سورة الأعراف (7)، الآية: 31، الصفحة: 154.
 5. القرآن الكريم: سورة المزمل (73)، الآية: 4، الصفحة: 574.
 6. راجع: الكافي، ج ٥، ص 321؛ «مَا أُحِبُّ مِنْ دُنْيَاكُمْ إِلَّا النَّسَاءَ وَ الطَّيِّبَ»
 7. راجع: مجموعة ورام، ج 1، ص 29، باب الرسوم في معاشرة الناس؛ «قال النبي(ص) إذا أبردتم إلي بريدًا فاجعلوه حسن الوجه حسن الاسم»
 8. الاختصاص، ص 233.
 9. مستدرك الوسائل، ج ٤، ص 273، بَابُ تَحْرِيمِ الْغِنَاءِ فِي الْقُرْآنِ وَ اسْتِحْبَابِ تَحْسِينِ الصَّوْتِ بِهِ بِمَا دُونَ الْغِنَاءِ وَ التَّوَسُّطِ فِي رَفْعِ الصَّوْتِ
 10. الكافي، ج 1، ص ٤38، بَابُ التَّجَمُّلِ وَ إِظْهَارِ النُّعْمَةِ.
 11. نقلا عن الموقع الرسمي لسماحة آية الله محمد تقي مصباح اليزدي.